النفط العربي وقضية فلسطين : علاقة جدلية

يوسف عبدالله صائغ

احاول في هذه الدراسة ان استكشف طبيعة العلاقة بين النفط العربي وقضية فلسطين وحدود هذه العلاقة، وذلك ضمن المدى الزمني الذي يتوقع ان يتطلبه النضال من أجل تحرير فلسطين واكتمال دورة الحياة العربية ، السياسية والاقتصادية ، بعد زوال الكيان الصهيوني الذي يعطل جريان هذه الدورة .

على انني في محاولتي هذه مدرك تمام الادراك لوجوب العودة الى الخلف ، الى الفترة الممتدة بين منتصف القرن التاسع عشر وعشرينات القرن الحالي ، ومنها الى الحقب الخمس التي تصل العشرينات بيومنا الحاضر ، أي التي تنتهي بحرب رمضان (تشرين الاول) ١٩٧٣ وبالعهد الجديد الذي اطلقته . هذه العودة الى الخلف ضرورية لان بروز خطوط « المشروع الصهيوني » في الاوساط اليهودية الصهيونية ، الرامي الى استعمار فلسطين واقتلاع اهلها العرب ، والذي امتد من ثمانينات القرن الماضي حتى وعد بلفور عام ١٩١٧ ، لازمه وسبقه في الاوساط الغربية السياسية اهتمام استعماري بوجود جالية يهودية كبيرة ومن ثم كيان صهيوني سياسي في فلسطين « يحرس » طريق الامبراطورية البريطانية الى الهند ويسمح للامبراطورية كذلك بموطىء قدم في فلسطين القائمة على مشارف البحر المتوسط ، التي اتضح ان عمقها الجغرافي العربي والفارسي يختزن ثروة نفطية كبيرة : ثروة كانت الامبراطورية مهتمة كل الاهتمام بالسيطرة عليها واستخدامها وقودا لاسطولها وآلتها الحربية جملة ولصناعاتها المتسعة على السواء .

ولا بد لي من الاعتراف انني ، اذ أسجل هذا التلازم بين اسهام الامبراطورية البريطانية (ومن ثم دول غربية اخرى) في تحقيق وتجسيد المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين ، من جهة ، وبين تطلعات المصالح الاقتصادية الغربية — والسيطرة على النفط العربي من ضمنها — من جهة اخرى ، واذ اشدد على كون ترسيخ الكيان الصهيوني والسعي الى امتلاك واستغلال النفط العربي هما ظاهرتان لمنحى واحد هو السيطرة الخارجية القسرية على الوطن العربي : اذ أسجل هذا التلازم على النحو الذي فعلت دون ان اقدم الادلة والمستندات المأخوذة من المراجع والوثائق التاريخية والدبلوماسية ، فانني اعرض نفسي للانزلاق صوب اسلوب « البت » المسبق ، او الاسلوب التأكيدي ، مما قد يشكل تحويلا متسرعا للفرضية المراد اثباتها الى نتيجة نهائية ، وهو منزلق كثيرا ما يقع فيه الباحث الملتزم .

غير انني اقبل كلفة هذه المجازفة الفكرية المحسوبة وارجو من القارىء ان يقبلها معي ، ذلك لاني سأكرس مدى هذا البحث للعلاقة الحالية والمتوقعة مستقبلا ، لا العلاقة التاريخية ، بين النفط العربي وقضية فلسطين ، ولان تاريخ العلاقة والتلازم بين السعي الاستعماري الغربي الى السيطرة على الموارد الاقتصادية العربية ، والسعي لقيام وتوطد المشروع الصهيوني الاستيطاني ، اصبح امرا ثابتا يدلل عليه